مدينة مكة الإلكترونية

(رؤية جديدة لمدينة مكة المكرمة في عام ٢٠٢٠م)

صالح الهطالي

كتبتُ هذا الموضوع عندما ذهبتُ لأداء العمرة في عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، فآلمني ما رأيتُ من سوء أحوال هذه المدينة الطاهرة، وعدم الاهتمام بتطويرها لا من قِبَل الحكومة ولا من قِبَل ساكنيها. وبعد مراجعة هذا الموضوع في عام ٢٠١٧م لغرض نشره، قمتُ بالتعديل في بعض أجزائه للتواكب مع التطوُّرات الرهيبة في وسائل الاتصال وتقنية المعلومات التي استجدَّت منذ عام ٢٠٠٥م.

مقدمة

تعاني مكة المكرمة– شرَّفها الله– حاليًا ويعاني ساكنوها وزائروها من مشاكل كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١) **الازدحام الكبير**، سواءٌ داخل المسجد الحرام أثناء الطواف وحتى عند الصلوات، أو في السعي، أو في الشوارع، أو في المساكن والمطاعم والمحلات. ويُعزى هذا الازدحام لأسباب كثيرة منها:

أ) الزيادة المطَّردة في عدد مَن يستوطنون مكة المكرمة، ومَن يأتون لزيارة البيت الحرام.

ب) الزيادة المطَّردة في عدد الحافلات والسيارات الموجودة في مكة المكرمة، أو الناقلة للحجاج والمعتمرين والزائرين.

ج) بقاء معظم جوانب المسجد الحرام والمساكن والعمارات والشوارع دون تطوير.

د) السلوكيات والأخلاق البعيدة عن تعاليم الإسلام التي تظهر على ساكني مكة المكرمة أو زائريها، والمتمثلة في كيفية قيادتهم للسيارات والحافلات، وفي تعامل الناس مع بعضهم البعض داخل وخارج المسجد الحرام. ومن تلك السلوكيات ما نراه من التدافع الشديد أثناء الطواف أو السعي أو أداء الصلوات والنوافل، وعدم مبالاة الناس بغيرهم. كذلك، رأينا العجب العجاب من تصرفات الناس في دورات المياه والطرقات وأثناء الجلوس في الساحات؛ فالجميع قد أتى من بلده بعاداته التي غالبًا ما يندر فيها جانب التسامح والإيثار.

هـ) عدم قيام رجال الأمن ومسؤولي الدولة بواجبهم في حفظ النظام وإرشاد الناس إلى الأنماط الإيجابية للتعامل والسلوك.

٢) **تلوُّث البيئة وتشويه أجواء المدينة المقدسة**، ويتجسَّد هذا التلوُّث في الجوانب التالية:

أ) تلوُّث الهواء بسبب عوادم السيارات والحافلات، وذلك يعود إلى كثرة الموجود منها في محيط مكة، سواءٌ للقاطنين أو الزائرين. وللأسف، فإن معظم السيارات لا تنطبق عليها الضوابط البيئية السليمة، وذلك لعدم وجود نظام مروري في المملكة يُجبِر أصحاب المركبات على فحص مركباتهم بصفة دورية، وتقليل خروج العوادم منها. ونتيجة لكل هذا فقد أصبح من الصعوبة بمكان فتح نوافذ السيارات أو المشي على أرصفة الشوارع والطرقات بسبب الروائح الخانقة لعوادم السيارات.

ب) تلوُّث الشوارع والطرقات بسبب اكتظاظها بالمركبات والمارة، وبسبب ما يتساقط من المركبات من زيوت، أو ما يلقيه المارة وراكبو الحافلات من مخلفات. وقد صار منظر الشوارع والطرقات مقرفًا ومضحكًا في آنٍ واحدٍ؛ فهو مقرف لما فيه من مخلفات ونفايات وزيوت، وهو أيضًا مضحك لنوعية المخلفات والنفايات التي ترمى عليها، والتي كان بالإمكان تلافي رميها.

ج) جريان مياه المجاري في الطرقات، وذلك بسبب اكتظاظ المساكن بالسكان، وعدم وجود قنوات حديثة على أسس علمية لتصريف تلك النفايات.

٣) **انتشار الظواهر المشينة**، سواءٌ أكانت داخل المسجد الحرام أم في محيطه، ومن تلك الظواهر التسوُّل الذي بات مألوفًا أينما اتجه الحاج أو المعتمر في نواحي المدينة المقدسة. كذلك، فانتشار التدخين والسرقة والتحايل على زوار البيت في البيع والشراء أمرٌ لا يخفى على مَن ذهب إلى هناك ولو لبضعة أيام.

الفكرة العامة للمشروع

تهدف فكرة هذا المشروع إلى إعادة تصميم مدينة مكة المكرمة بأكملها، وبكامل بنيتها التحتية من مساكن وشوارع ومنتزهات وأماكن خدمات. والغاية من ذلك أن يتم إخلاء المدينة المقدسة من جميع الحافلات والمحلات التجارية، والظواهر التي تسبب تشوُّه المدينة كالسيارات والحافلات والتدخين ومداخن المطاعم والمساكن. وليتسنى تحقيق كل هذا فيجب العمل بما يلي:

١) أن لا توجد داخل المناطق التي يرتادها الحجاج والمعتمرون أية سيارة أو حافلة أو وسيلة نقل تستخدم البنزين ويمكن أن تخرج عوادم. والهدف من هذا تنقية هواء المدينة من عوادم السيارات، وتنقية شوارعها من الزيوت ومخلفات السيارات. والبديل لذلك أن يتم استبدال السيارات والحافلات بعربات كهربائية، تُستَخدم لأغراض نقل زائري البيت الحرام، وأيضًا لنقل أمتعة زوار البيت ومستلزمات المسجد الحرام والفنادق.

٢) تحاط كامل المنطقة التي يرتادها زوار البيت الحرام بسور تكون عليه حراسة مشددة تمنع دخول الأفراد أو البضائع بطريقة غير شرعية أو قانونية. أما مساكن أهل مكة فتكون خارج هذا السور. ويتم دخول المدينة فقط من خلال منطقة استقبال القاطنين والزوار، والتي توجد على مسافة ٢٠ كم تقريبًا من المسجد الحرام.

٣) عندما يصل الشخص إلى منطقة الاستقبال بسيارته أو بالحافلة، فإنه يتم استلام السيارة أو الحافلة تلقائيًا، ويتحوَّل الشخص إلى عربة كهربائية تكون في انتظاره وتأخذه إلى مكان سكناه. أما سيارته أو حافلته وما تحمله من حقائب وأمتعة فإنه يتم إدخالها أولًا إلى منطقة تعقيم خاصة، وذلك للحدِّ من تلوُّث المدينة المقدسة. وإذا أراد الشخص حمل شيء من أمتعته معه، فإنه يتم إدخال تلك الأمتعة في جهاز خاص للكشف عليها وتعقيمها لضمان عدم احتوائها على ما يمكن أن يضر بالبيئة وساكنيها. وبعد أن يتم تعقيم السيارة أو الحافلة، فإنه يتم إيقافها في مواقف إلكترونية، بحيث إذا احتاج إليها الشخص أثناء بقائه في مكة أو بعد الانتهاء من حجه أو عمرته، فإنه يستطيع الحصول عليها باستخدام السوار الإكتروني الذي سنذكره لاحقًا.

٤) يتم إخلاء مناطق السكنى الخاصة بالحجاج والمعتمرين من جميع المحلات التجارية والمقاهي والمطاعم، وتستبدل بأكشاك بيع إلكترونية لتلبية الاحتياجات الضرورية والخفيفة من مشروبات ومأكولات ومستلزمات النساء والأطفال، وهذه الأكشاك تتعامل أيضًا بنظام الشفرات، وعندما يأخذ شخص شيئًا من الأغراض الموجودة فيها، فإنه يتم إضافة ذلك الشيء تلقائيًا إلى قائمة مشترياته، وبإمكان الشخص متابعة مشترياته من خلال برامج متخصَّصة متوافرة على شاشات منتشرة في أرجاء منطقة الحرم، أو من خلال تطبيقات يتم إنزالها في الهاتف. والهدف من وجود مثل هذه الأكشاك تقليل صور الاحتيال والإبتزاز التي عادةً ما يقوم بها أصحاب المحلات، فتكون الأسعار موحدة ومعروفة للجميع، وتحددها الجهات المختصة.

٥) يتم نقل جميع المحلات التجارية والمطاعم والمصانع والورش إلى مناطق تجارية مبنية لهذا الغرض، وموجودة خارج منطقة الاستقبال، أي بعيدة عن مكة المكرمة بما لا يقل عن ٢٠ كم. والهدف من هذا هو التقليل مما تعانيه المدينة المقدسة حاليًا من زحام وضوضاء وتعاملات لا تليق بقداسة المدينة المشرفة كبيع بعض المواد المحرمة أو المشبوهة. كذلك، فهذا قد يساعد على إضفاء الجوِّ الروحاني الذي يفتقده حاليًا معظم زوار البيت الحرام، وأيضًا قد يضيف إلى المدينة المشرفة الهدوء والنظام.

٦) يتم إخلاء جميع المناطق التي يرتادها زوار البيت الحرام من الحاجة إلى استخدام النقود. والهدف من هذا هو منع السرقات التي كثيرًا ما يتعرض لها الحجاج والمعتمرون، وأيضًا لمنع ظاهرة التسوُّل.

والبديل من ذلك هو أن يقوم جميع الحجاج والمعتمرين بإيداع ما يحتاجون إليه من نقود من خلال مكاتب ومؤسسات موجودة داخل بلدانهم أو داخل المملكة، وقبل مجاوزتهم منطقة الاستقبال. أما داخل حدود مدينة مكة المكرمة فإن الحاج أو الزائر يستطيع استخدام السوار الإلكتروني للحصول على ما يحتاج إليه من الأكشاك الإلكترونية، أو الفنادق أو غيرها من الأماكن، ويتم خصم قيمة المشتريات أو الخدمات من رصيده الذي أودعه سابقًا، وفي حالة حاجته إلى مزيد من النقود فإن ذلك يتم عبر أجهزة وبرامج مُعدَّة لذلك.

كيف يعمل السوار الإلكتروني؟

١) في منطقة الاستقبال يتم وضع سوار إلكتروني في معصم كل مَن يدخل إلى مكة المكرمة، ويتم برمجة ذلك السوار وربطه بذلك الشخص، ويبقى ملازمًا له طيلة مدة بقائه في مكة المكرمة، ولا يتم إزالته إلا بعد خروجه نهائيًّا من المدينة المشرَّفة. ويُستَخدم السوار في معرفة مكان وجود الشخص، مما يُسهِّل على أصحابه أو على رجال الأمن معرفة مكانه عن طريق أجهزة تعمل بنظام GPS، وهذا سيقلل من تيه الزوار في شوارع المدينة. كذلك، فإن السوار يحتوي على شفرة خاصة تربط الشخص بمكان سكنه، ولذلك فبمجرد دخول الشخص إلى أيِّ مصعد في الفندق الذي يقطن فيه، فإن المصعد يتعرَّف على هوية الشخص تلقائيًّا من خلال ذبذبات تنبعث من ذلك السوار، وعندها يقوم المصعد بأخذ الشخص تلقائيًّا إلى الطابق الذي يقطن فيه. كذلك، فعندما يجلس في إحدى العربات الكهربائية الخاصة بالتنقل داخل المدينة، فإن العربة تتعرف تلقائيًّا على هوية الشخص، وتتجه به مباشرة إلى الفندق الذي يسكن فيه.

٢) يتم أيضًا استخدام السوار الإلكتروني عند تخزين واستخراج مستلزمات الحاج أو المعتمر الشخصية كالنعال أو الهاتف النقال أو غير ذلك. فمثلًا، عندما يصل الشخص إلى إحدى بوابات البيت الحرام، ويريد الدخول فإنه يضع السوار على جهاز موجود عند البوابة، فتخرج له الخزانة الخاصة به، ليضع بها نعاله وهاتفه ومفاتيحه وبطاقاته وأية مواد أخرى غير مسموح بإدخالها إلى داخل المسجد. وعندما يريد الشخص الخروج من المسجد الحرام فما عليه إلا أن

يلمس الجهاز الموجود عند البوابة التي يخرج منها بذلك السوار، وفي مدة يسيرة تخرج إليه الخزانة الخاصة به، فيأخذ منها ما يشاء، ويترك الباقي فيها إلى ما شاء من الوقت. وهذه الخزانات تتحرك تلقائيًا عبر ممرات داخلية إلى مستودع مركزي، بحيث يمكن استدعاء تلك الخزانات من أيِّ مكان شاء في المدينة المقدسة، وليس فقط في حدود المسجد الحرام.

المخطَّط المقترح لمدينة مكة الإلكترونية

في المقترح التالي نطرح فكرة تحويل المدينة المقدسة- شرَّفها الله- إلى مدينة على أحدث طراز معماري، وتدار بتقنيات حديثة تحاول تلافي المشاكل التي ذكرناها في المقدمة. وقد يقول قائل بأن هذا الطرح طموح جدًّا، ولكن قد يستحيل تنفيذه لأنه سيكلف مبالغ باهظة ويحتاج إلى تقنيات متطورة جدًّا. وأقول بأن هناك من المشاريع التجارية التي يصرف عليها أضعاف ما يمكن أن يكلفه هذا المقترح. كذلك، فإن للمسجد الحرام من أموال الوقف في جميع أنحاء العالم ما يمكن أن تغطي كامل تكلفة المشروع أو- على الأقل- قسطًا كبيرًا منه. ولا ننسى أن جميع الدول الإسلامية وغالبية المسلمين- لو سمحت لهم المملكة بذلك- لبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تطوير أمِّ القرى- شرَّفها الله-. أما بالنسبة للتقنيات المتطورة فإنها موجودة، ويجري استخدامها في أرجاء المعمورة، وإن ثبت أن هناك من التقنيات التي لا تتوافر حاليًا فيمكن البحث عن بدائل أخرى لها.

وفيما يلي نورد شرحًا موجزًا لأجزاء هذا المقترح وبعض الملاحظات العامة حول كل جزء منه، وأما التفاصيل فيمكن القيام بها لاحقًا عندما تكون هناك إرادة سياسية وشعبية لتبني هذا المشروع.

- المساحة المقترحة للمسجد الحرام هي ٥٠٠م × ٥٠٠م، وهذه المساحة تشمل الكعبة المشرفة وأماكن الطواف والسعي والمصليات، بالإضافة إلى الساحات المفتوحة لأماكن الصلاة.
- يحيط بالمسجد الحرام من كل جانب ساحات ومنتزهات بعرض ٢٠٠م، وهذه الساحات والمنتزهات ليست لغرض الصلاة، وإنما لتعطي زوار البيت الحرام المجال الرحب للتنقل، والجو الهادئ للإحساس بأنهم بحق في مدينة الجمال والنظافة والأمن والهدوء.

- تنتظم فنادق زوار البيت الحرام في صفوف تحيط بالساحات والمنتزهات من كل جانب، وتمتد إلى عشرة صفوف في كل اتجاه، وكل واحد من هذه الفنادق هي- على الأقل- من ذوات الخمس نجوم، وترتفع إلى عشرين طابقًا، ويحتوي كل طابق على خمسين غرفة، بالإضافة إلى أماكن الخدمات من مكاتب ومطاعم وصالات ترفيه. ويتم إدارة جميع الفنادق، بما في ذلك نظافة الغرف والممرات والمرافق، من خلال مؤسسة واحدة فقط تشرف عليها أمانة عليا للمدينة المقدسة، وذلك لمنع الإضرار بزوار البيت أو ابتزازهم أو الإخلال بالمستويات العالية من الجودة والنظام التي عادة ما تُشتَرط داخل جميع الفنادق العالمية الراقية. ولا تُترك نظافة الغرف والمرافق للزوار، وإنما تتولاها مؤسسة الفنادق نفسها. وتوجد بين الفنادق طرق لتنقُّل زوار البيت بين المسجد الحرام والفنادق التي يسكنون فيها. كذلك، فتوجد بين الفنادق أماكن ومنتزهات صغيرة لتجمُّع زوار البيت واستجمامهم، وتتوزع الأكشاك الإلكترونية التي تلبي احتياجاتهم بين الفنادق وبجانب الطرقات وفي منطقة الساحات والمنتزهات.

- ويحيط بالمسجد الحرام والساحات والمنتزهات ومنطقة الفنادق- كما أسلفنا- سور أمني يحمي تلك المناطق من التلوُّث أو من دخول أشخاص أو مواد لا تليق بقداسة تلك المنطقة، وبعد السور الأمني تنتشر مساكن أهالي مكة، وتمتد إلى منطقة الاستقبال. ولا توجد قيود على هذه المناطق السكنية إلا أن تكون أيضًا خالية من السيارات والحافلات والمحلات التجارية. وينتقل أهالي مكة داخل هذه المنطقة في عربات كهربائية وشوارع مخصصة لهذا الغرض. كذلك، فتنتشر في شوارع المنطقة الأكشاك الإلكترونية التي يستطيع سكان مكة أن يحصلوا من خلالها على المستلزمات الضرورية.

كيف تعمل منطقة الاستقبال؟

أما في منطقة الاستقبال فإن الإجراءات ستكون كما يلي:

- عند وصول الحافلات إلى منطقة الاستقبال، فإنه يتم توزيعها حسب جنسية الركاب، بحيث يتجه ركاب كل خط حافلات من جنسيات معينة للسكنى في فنادق معينة، يتم تحديدها تلقائيًّا.

- بعد أن تصل الحافلة إلى منطقة الاستقبال، يقوم ضابط المكتب باستلام جوازات الركاب وقراءة أرقامها إلكترونيًّا، حيث تكون بياناتها قد أدخلت مسبقًا في البلدان التي أتت منها هذه الحافلات، وتم التأكُّد من ذلك في المنافذ الحدودية للملكة.

- يقوم عمال متخصصون بتفريغ وصفِّ حقائب كل حافلة في عربات النقل.

- بعد الانتهاء من إجراءات التسجيل، يتم ربط كل شخص بالنظام الإلكتروني الموحَّد للمدينة المقدسة عن طريق السوار الإلكتروني وباستخدام بصمة اليد أو بؤبؤ العين أو وسائل إثبات الهوية الأخرى. ويقوم الضابط بإلباس كل شخص السوار الإلكتروني الذي يكون في معصم اليد الشخص على شكل ساعة، ولا يمكن إزالته إلا بعد خروجه من مكة.

- بعدها يُطلب من كل شخص الدخول إلى جهاز خاص لفحصه للتأكد من عدم حمله ما يمكن أن يؤذي زائري أو قاطني المدينة المقدسة من مثل المواد الحادة أو الأسلحة أو المخدرات أو غير ذلك. بعدها يمر الشخص على غرفة خاصة لتعقيمه مما يمكن أن يحمله أو علق به من فيروسات أو فطريات أو أية أمور مؤذية، ثم يطلب منه الانتقال مباشرة إلى قطار النقل الكهربائي، ويقوم القطار بنقل الركاب تلقائيًّا إلى الفندق المخصص لهم.

- يقوم الضابط ببرمجة الحافلة لربطها بهوية سائق الحافلة، بحيث يمكن استدعاؤها فيما بعد عن طريق هوية سائق الحافلة.

- بعد ذهاب الركاب تتحرَّك الحافلة تلقائيًّا إلى مستودع خاص بالحافلات، وتمرُّ قبل ذلك على محطة لغسلها وتعقيمها لإزالة وقتل ما قد يعلق بها من أوساخ وميكروبات، ويتم أيضًا رشها من الداخل بمعقمات، وكل هذه الإجراءات لمنع انتشار الأمراض في المدينة المقدسة.